تفسير ابن كثير

يقول تعالى : { أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت } أي حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفوسة يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر ولا يخفى عليه خافية { وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه } وقال تعالى : { وما تسقط من ورقة إلا يعلمها } وقال : { وما من دابة في الأرض إلا على ا رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين } وقال : { سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار } وقال : { يعلم السر وأخفى } وقال : { وهو معكم أين ما كنتم وا بما تعملون بصير } أفمن هو كذلك كالأصنام التي يعبدونها لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل ولا تملك نفعا لأنفسها ولا لعابديها ولا كشف ضر عنها ولا عن عابديها ؟ وحذف هذا الجواب اكتفاء بدلالة السياق عليه وهو قوله : { وجعلوا شركاء } أي عبدوها معه من أصنام وأنداد وأوثان { قل سموهم } أي أعلمونا بهم واكشفوا عنهم حتى يعرفوا فإنهم لا حقيقة لهم ولهذا قال : { أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض } أي لا وجود له لأنه لو كان له وجود في الأرض لعلمها لأنه لا تخفى عليه خافية { أم بظاهر من القول } قال مجاهد : بظن من القول وقال الضحاك وقتادة : بباطل من القول أي إنما عبدتم هذه الأصنام بظن منكم أنها تنفع وتضر وسميتموها آلهة { إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل ا بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى } { بل زين للذين كفروا مكرهم } قال مجاهد : قولهم أي ما هم عليه من الضلال والدعوة إليه آناء الليل وأطراف النهار كقوله تعالى : { وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم } الاية { وصدوا عن السبيل } من قرأها بفتح الصاد معناه أنه لما زين لهم ما هم فيه وأنه حق دعوا إليه وصدوا الناس عن اتباع طريق الرسل ومن قرأها بالضم أي بما زين لهم من صحة ما هم عليه صدوا به عن سبيل ا ولهذا قال : { ومن يضلل ا فما له من هاد } كما قال { ومن يرد ا فتنته فلن تملك له من ا شيئا } وقال { إن تحرص على هداهم فإن ا لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين }